

التحرير والتنوير

وقيل : أرادوا بهذا الكلام الاستخفاف بموسى وهذا بعيد لأنهم ما كانوا يشكون في رسالته ولو أرادوا الاستخفاف لكفروا وليس في كلام موسى الواقع جوابا عن مقالته هذه إلا وصفهم بالفاسقين . والفسق يطلق على المعصية الكبيرة فإن عصيان أمر الله في الجهاد كبيرة ولذلك قال تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) وعن عبد الله بن مسعود قال : أتى المقداد بن الأسود النبي وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال " يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) " . الحديث .

فلا تظن من ذلك أن هذه الآية كانت مقروءة بينهم يوم بدر لأن سورة المائدة من آخر ما نزل وإنما تكلم المقداد بخبر كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحدثهم به عن بني إسرائيل ثم نزلت في هذه الآية بذلك اللفظ .

(قال) أي موسى مناجيا ربه أو بمسمع منهم ليوقفهم على عدم امتثالهم أمر ربهم (رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي) يجوز أن يكون المعنى لا أقدر إلا على نفسي وأخي وإنما لم يعد الرجلين اللذين قالا (ادخلوا عليهم الباب) لأنه خشي أن يستهوي لهما الله ويجوز أن يراد بالفرق بينهم الحكم بينهم وإيقاف الضالين على غلطهم .

وقول الله تعالى له (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) الخ جواب عن قول موسى (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) وهو جواب جامع لجميع ما تضمنه كلام موسى : لأن الله أعلم موسى بالعقاب الذي يصيب به الذين عصوا أمره فسكن هاجس خوفه أن يصيبهم عذاب يعم الجميع وحصل العقاب لهم على العصيان انتصارا لموسى . فإن قلت : هذا العقاب قد نال موسى منه ما نال قومه فإنه بقي معهم في التيه حتى توفي . قلت : كان ذلك هينا على موسى لأن بقاءه معهم لإرشادهم وملاحهم وهو خصيصة رسالته فالتعب في ذلك يزيده رفع درجة أما هم فكانوا في مشقة .

(يتيهون) يضلون ومصدره التيه بفتح التاء وسكون الياء والته بكسر التاء وسكون التحتية . وسميت المفازة تيهاء وسميت تيهاء . وقد بقي بنو إسرائيل مقيمين في جهات ضيقة ويسيرون الهوينا على طريق غير منتظم حتى بلغوا جبل " نيبو " على مقربة من نهر " الأردن " فهناك توفي موسى عليه السلام وهناك دفن . ولا يعرف موضع قبره كما في نص كتاب اليهود . وما دخلوا الأرض المقدسة حتى عبروا الأردن بقيادة يوشع بن نون خليفة موسى . وقد استثناه الله تعالى هو وكالب بن يفنة لأنهما لم يقولا : لن ندخلها . وأما بقية الرواد الذين أرسلهم موسى لاختبار الأرض فوافقوا قومهم في الامتناع من دخولها .

وقوله (فلا تأس على القوم الفاسقين) تفرّيع على الإخبار بهذا العقاب لأنه علم أن موسى يحزنه ذلك فنهاء عن الحزن لأنهم لا يستأهلون الحزن لأجلهم لفسقهم . والأسى : الحزن يقال أسي كفرح إذا حزن .

(وائل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربا نا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين [27] لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العلمين [28] إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين [29] فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين [30]) E A